مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: رؤية الغرب للإسلام بين احتمالية المجابهة وامكانية التعايش والحوار
اسم الكاتب: أ.د. عبد القادر محمد فهمي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6789
تاريخ الاسترداد: 2026/05/15 00:38 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على
info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

رؤية الغرب للإسلام بين احتمالات المجابهة وإمكانية التعايش والحوار

الأستاذ الدكتور
عبد القادر محمد فهمي
كلية العلوم السياسية جامعة بغداد

من بين القضايا التي انشغل بها الفكر السياسي وما تزال موضوع نقاش وجدل واسع النطاق، هي المتعلقة بمكانة الإسلام في نمط التفكير الغربي. وكيف ينظر الغير الى الإسلام بوصفه مكوناً قيمياً وثقافياً تنعكس دلالاته على قواعد السلوك وطريقة التعامل، بل وحتى في صياغة أنماط محددة من العلاقات بين الشرق والغرب، أو بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية المسيحية.

وفي هذا السياق، لا يمكن ان نسقط عشرات الدراسات والبحوث التي جاء بها الكتاب والمثقفون ومراكز البحوث والتي عالجت قضية محورية مفادها، ان الإسلام يشكل عنصراً من عناصر التهديد الاستراتيجي للغرب، الأمر الذي يفرض صياغة أنماط من الفعل السياسي والاستراتيجي يؤمن ضمانات قوية في مواجهة هذا التحدي وبما لا يوهن أو يخل بمصالح الغرب عموما ومصالح الولايات المتحدة على وجه الخصوص. ومما يعزز من ثبوتية هاجس الشك والخوف من الآخر في عقلية الغرب. ودفعت باتجاه تنامي مشاعر العداء ضده، أطروحة (صموئيل هنتغتون) حول صراع الحضارات التي افترض فيها ان احتمالات الصراع بين الكتل الحضارية هي أكثر من أمكانية التعايش فيما بينها. وان احد اهم اوجه الصراع سيكون بين الاسلام والغرب، ليس بسبب مصالح مادية وسياسية، انما بفعل موروثات تأريخية وعوامل ثقافية وحضارية متجذرة. وفي هذا يذهب هنتنغتون الى القول (ان الانقسامات العظمي بين البشر والمصدر الغالب للنزاع لسوف تكون ثقافية، وان صراع الحضارات سوف يهيمن على سياسة العالم اجمع)[1].

[1] Samuel Hunting ton, The clash of Civilization, Foreign affairs, Summer, 1993, p.22.

ان اطروحة صدام الحضارات تطرح اشكالية مثلثة الاضلاع تثار ضمنها جملة تساؤلات، اذ كيف ينسج المرء علاقته بالآخر؟ ما هي الامكانات المتاحة الان فيما يخص العلاقات بين الجماعات البشرية والهويات الثقافية. الصراع والصدام او التنافس والتسابق؟ الاقصاء والالغاء ام التواصل والتداول؟

والحق ان هذه الاسئلة ليست بجديدة، الا ان الكلام يتجدد بشأنها كلما تكاثر الكلام على مقومات صدام الحضارات التي هي مثار التداول والاختلاف والتي احتلت واجهة المشهد الفكري بقدر ما طغى العنف على المشهد الكوني بعد تفجيرات ١١ ايلول سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة.

وهكذا فان مقولة صدام الحضارات تستطبن، وكما تفهم في سياقها الراهن، ثنائية مركبه تحتاج الى الفحص واعادة النظر، اولاً على صعيدها الوجودي بوصفها تجسد اشكالية العلاقة بين الانا والآخر بصرف النظر عن الهويات والانتماءات. ثانياً على صعيدها البشري بوصفها تشكل مثالاً حياً لاشكالية العلاقة بين الاسلام والغرب.

وهكذا نحن ازاء ثلاث ثنائيات لكل واحدة منها سؤالها:

١. ثنائية الأنا والآخر وسوالها: هل نعرف الآخر ام نخترع له ما نشاء من الصور؟

٢. اشكالية الاسلام والغرب وسؤالها: هل نحن حقاً ازاء صدام بين هذين العالمين ام ان هناك تداخلاً بينهما لا فكاك منه؟

٣. اشكالية الحضارة والثقافة وسؤالها: هل نحن ازاء صدام حضارات ام تفاعل ثقافات؟

وفي غمرة الانشغال الفكري بالافتراضات التي حملتها نظرية صراع الحضارات والتساؤلات التي اثارتها، جاءت احداث الحادي عشر من ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ لتحدث تحولاً نوعياً في مدركات الغرب الحسية حول الاسلام والمسلمين.

لقد كشفت ردود فعل الغرب على تفجيرات ١١ ايلول/سبتمبر عن مشهد خطير ومخيف في النظرية السياسية والممارسة العلمية تجاه الاسلام والمسلمين والعرب. وما كان يظن انه مجتمع غربي ليبرالي يسمو فوق النزاعات العرقية والدينية، اظهر ما يمكن وصفه بنزعة كامنة عنصرية (ضد العرب) ودينية (ضد المسلمين) حتى قبل ان يبدأ أي تحقيق لتحديد الجهة المسؤولة عن ما حدث.

في ضوء ما تقدم، تسعى الورقة الى الوقوف على طبيعة وحقيقية التصورات الذهنية المتشكلة لدى الغرب عن الاسلام والمسلمين، وهل ان هذه

التصورات تشكل سبيلاً لولوج عالم تصارعي ام انها تمهد لحوار حضاري وتعاون انساني يخدم البشرية على اختلاف مشاربها الفكرية وتنوعاتها الحضارية.

وعليه سنعالج هذه الموضوعات واخرى غيرها في جملة فقرات هي على النحو التالي:

اولاً: الخلفية العدائية للاسلام في مدركات الغرب الحسية

بدءاً، لابد لنا من الاشارة الى ان علاقة الاسلام بالغرب هي علاقة تاريخية تعود الى فترة الفتوحات الاسلامية. الا ان هذه العلاقة، ومنذ تلك الفترة، كان وما يزال، يشوبها نوع من الالتباس والغموض والشك والفهم الخاطئ، حيث ظل الاسلام في الغرب يمثل ذلك الاخر البربري الغازي والحاقد والمحارب. ويبدو ان هذا الفهم الضيق والمنحرف للاسلام اخذ يتمظهر من خلال وضع الاسلام ضمن اطار ما يعرف بـ(الاستبداد الشرقي)، وتعميم مفاهيم التشدد والقسوة والتعصب والارهاب واللاعقلانية والتخلف ونبذ الديمقراطية وحكم القانوني المدني والمساواة بين الرجل والمرأة على الثقافة الاسلامية برمتها. وبعد زوال الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينات من القرن الماضي برز تيار فكري في الغرب يجعل من الاسلام عدواً للغرب بديلاً عن الشيوعية. وفي نفس السياق تم تداول عدة مصطلحات تم ربطها بالاسلام مثل التعصب الاسلامي والتطرف الاسلامي والارهاب الاسلامي والخطر الاسلامي والخطر الاخضر.

وقد اسهمت في ترويج هذه المصطلحات الدعاية الاعلامية المعادية والدراسات الاستشراقية، هذا فضلاً عن الدعاية الصهيونية التي نجحت برسم صورة مشوهة وقاتمة عن الاسلام والمسلمين والعرب في الغرب من خلال تزوير الحقائق التاريخية في ظل فراغ افرزه عدم الوجود الاعلامي والثقافي العربي والاسلامي الفاعل هناك.

ورغم كون معظم انظمة البلدان الاسلامية ترطبها علاقات ودية مع الغرب، ورغم المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها معظم هذا البلدان، فهناك داخل الغرب من يبالغ في اثارة خوفه وقلقه من (الخطر الاسلامي) عبر استنتاجات خاطئة تضفي طابع التطرف والتشدد ومعاداة الغرب على كل مسلم اينما كان بناء على سلوكيات استثنائية يقدم عليها بعض الاشخاص والجماعات، وهو الامر الذي يدفع بالغرب الى ممارسة مختلف الضغوطات على معظم هذه البلدان بهدف صد اية تحولات (مريبة) تحصل داخلها، او تحجيم أي دور استراتيجي لها.

والواقع، ان تعظيم شأن الاسلام والمسلمين لكونهم يمثلون الخطر القادم بعد زوال الاتحاد السوفيتي اخذ يظهر، وبشكل مكثف وعلى نحو ملفت للانتباه في الاوساط الفكرية الاكاديمية والسياسية التي اخذت تروج وتسوق نظرية (الاحلال)، أي احلال الاسلام السياسي كخطر محدق بالمصالح الغربية محل الفكر الشيوعي، وان الاسلاميين، وبمجرد تسلمهم السلطة، سوف يؤسسون انظمة حكم ثيوقراطية دكتاتورية، مما يجعل من الاسلام والقيادات الاسلامية يشكلان خطراً على الاستقرار الاقليمي وعلى مصالح الغرب وقيمه[2].

وعلى هذا الاساس ستبقى مصالح الغرب معرضة للخطر بسبب من عاملين، اولهما، الطبيعة التاريخية للخطر الاسلامي في معاداة الغرب، وثانيهما، ارتباط مصالح الغرب مع مصالح حلفائهم الاقليميين الذي هم بنظر المسلمون قوى معادية.

ويدعي انصار هذا التيار المعادي للاسلام في الغرب ان ثمة تماثلات ومقاربات فكرية بين الاصوليين الاسلاميين والشيوعيين الذين يقتربون منهم في جملة مواضيع منها، شمولية الافكار التي يحملونها ويدعون اليها، مناهضتهم في جوهر افكارهم لديمقراطية الغرب، ثباتهم واصرارهم في استهدافهم للغرب ومناصبتهم العداء له. وبالتالي، فان الانبعاث الاسلامي لا يمثل فكرة دينية مجردة وانما ينطوي على تحد للفكر السياسي الغربي ومصالح الغرب اينما وجدت في العالم[3]، وهنا يذهب (مور تيمور زكرمن) الى عد الانبعاث الاسلامي شأنه شان الانبعاث الشيوعي من حيث قوته التدميريه، او بما يحمله من روح تحد لقيم الغرب وثقافته. وفي مطارحته لتصوير الخط الاسلامي يذهب (دانيال بايبس) الى ابعد من ذلك بالقول الى (ان الاسلاميين يتحدون الغرب بصورة اعمق مما يفعله الشيوعيين. فهؤلاء الاخرون يختلفون مع سياستنا، ولكن ليس مع نظرتنا المجملة الى العالم، بما فيها طريقة لبسنا وتزاوجنا وصلاتنا)[4] وليس بعيدا عن القول، ان هذه الاطاريح الفكرية مثلث المرجعية السياسية لموضوع الارهاب وضرورة العمل على محاربته

---

[2] للتفاصيل راجع:
Graham Fuller, The next Ideology, Foreign Policy, No. 98, spring, 1995.

[3] Daniel pipes, The Islamic threat, Foreign Affairs, 64, Summer, 1986, p.939.

[4] Ibid, p.940.

والتصدي لقوى العدوان (محور الشر). ومما عزز من هذه القناعة احداث (١١) ايلول التي مهدت بدورها ايضا لتبني استراجية جديدة.

ولعل المفارقة الملفتة للانتباه في هذا الصدد هي، انه على الرغم من تنامي الدعوات المطالبة بالاصلاح والديمقراطية في منطقة الشرق الاوسط عموما والمنطقة العربية على وجه التحديد، فان دعاة المجابهة مع الاسلام في الغرب يرون ان الديمقراطية لا تتوافق مع الاسلام محذرين حلفاءهم في الشرق الاوسط من مغبة تقديم تنازلات في مجال حقوق الانسان والاصلاحات والديمقراطية، مدعين انه بامكان الضغوط لدمقرطه سابقة لاوانها ان ترهق، الى درجة مميتة، انظمة الحكم الموالية للغرب، الامر الذي يؤدي الى ابدالها بدكتاتوريات دينية. ويرى دعاة المجابهة ان الديمقراطية في الشرق الاوسط ترف لاتقدر عليه انظمة الحكم الصديقة، لانه يمكن القوى المعادية للديمقراطية من الاستياء على السلطة وهذا ما يهدد مصالح الولايات المتحدة[5]. ومثال على ذلك، اشار (مارتن أندك) الى (ان جهود الانظمة الموالية للغد، بهدف تعزيز شرعيتها من خلال العملية الديمقراطية لم تؤد، على ما يبدو، الا الى منح الاسلاميين فرص انتزاع السلطة بوسائل شرعية)[6]. وفي نفس السياق تذهب (جوديت ميللر) الى تاكيد هذا الراي بقولها (ان الانتخابات الحرة تبدو السبيل المرجح اكثر من أي سبيل اخر لانتاج انظمة حكم اسلامية هي في الواقع معادية للديمقراطية)[7].

ويعتقد العديد من دعاة المجابهة ان غياب الديمقراطية في بعض دول الشرق الاوسط وبقاء انظمتها الموالية في السلطة يساعد الغرب والولايات المتحدة على(ابطال مفعول) ايديولوجية الاسلام السياسي، ويعين على حفظ المصالح الغربية.

ان ما تقدم لا يكشف لنا مدى العداء الذي تكنه الاوساط الفكرية للاسلام فحسب، بل انه ايضا يعطي انطباعا بان التثقيف السياسي الغربي ضد الاسلام يهدف الى اثارة المشاعر ضده، لا بوصفه العدو الجديد والمتاصل للغرب، وانما ايضا لبقية الجنس البشري.

---

[5] انظر بذلك:

Judith Miller, Faces of Fundamentalism, Foreign Affairs, Vol, 73, No. 6 November, 1994, p.142.

[6] Martin Indyk, Inter view, on 13 November, 1993; Middle East Quarterly, Vol, 1, 1 March, 1994.

[7] Judith Miller, The challenge of Radical Islam, Foreign Affairs, Spring, 1993, p.52.

ثانيا: مكانة الاسلام في نظرية صراع الحضارات.

لعل من ابرز المساهمات النظرية المؤدلجة بمفاهيم الغرب وقيمه الفكرية والثقافية هي تلك التي جاء بها (صموئيل هنتنغون) والتي اراد بها تاكيد فكرة مفادها، ان الصراعات الدولية والاقليمية والمحلية لم تتراجع بزوال الخطر الشيوعي وانحسار الافكار الماركسية-اللينينية. هذه النظرية، صدام الحضارات، كادت تفقد بريقها امام الجهود الفكرية التي كانت تجري على قدم وساق لتفعيل وتعزيز الحوار بين الحضارات، حتى عادت من جديد لتنشط مرة اخرى وتظهر بقوة الى الواجهة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لتوجه اصابع الاتهام الى عناصر عربية واسلامية بوصفها الضالعة فيها.

وتبعا لذلك اثيرت وعلى نحو حاد مسالة (الانا) أي الغرب بكل خصائصه التي تتمثل بالديمقراطية وحقوق الانسان والتسامح والتقدم التكنولوجي ومؤسسات المجتمع المدني، مقابل سمات وخصائص (الاخر) أي الشرق والمتمثلة بالاصولية والارهاب والتطرف والبداوة والعنف وغيرها[8]. وبالتالي تكريس الخلط بين الشخص الارهابي والحضارة التي ينتمي اليها وهي من وجهة نظر الغرب، الحضارة العربية الاسلامية التي تجاوزت، من وجهة نظر الغرب، تهديد البناء القيمي والثقافي لتطال حياتهم الشخصية.

وبالعودة الى نظرية هنتنغتون، فان القضية التي اثارها هي، ان عالم ما بعد الحرب الباردة لايمثل عالما خاليا من الصراعات الدولية-الحضارية، بل على عكس من ذلك فان مرحلة ما بعد الحرب الباردة ستشهد صراعا حضاريا، ربما اشد واكثر اتساعا وتعقيدا من تلك التي اثارتها حقبة الحرب الباردة. مقوم هذا الصراع هو العنصر الثقافي الذي يعد محورا اساسيا للانقسامات بين الشعوب، خصوصا مع تنامي بروز الهوية الثقافية امام ما يشهده العالم من تحديث وتنمية اقتصادية واجتماعية، مما يعيق ويصعد الخلافات والصراعات المبنية على أسس ومرتكزات ثقافية.

إحدى المسوغات التي يطرحا هنتنغتون في نظريته تذهب الى ان الشعوب تعود الى هويتها الثقافية ورموزها الاصلية، وهي على الجملة عناصر اساسية ومحورية، من وجهة نظر هنتنغتون، في تحديد المجال الثقافي والحضاري للصراع، كالدين والموروث التاريخي المشترك والعامل الجغرافي كعامل جامع لمجموعات حضارية-ثقافية بعينها. وتبعا لذلك لم تعد المسالة المثارة هي (نهاية

---

[8] انظر بذلك:
د. جمال شلبي، العرب واوروبا، رويا سياسية معاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢٧.

التاريخ) على وفق طروحات (فوكوياما)، وهي نهاية جسدها انتصار الغرب الراسمالي على قوى المعسكر الاشتراكي المنهار، انما هي بداية حقبة جديدة من الصراعات ضمن المسار التاريخي الممتد. وان الخطر يتهدد الغرب، والتكتل الحضاري الاوفر حظا كعنصر من عناصر التهديد للغرب يتمثل بالتكتل الحضاري الاسلامي.

والملاحظة الجديرة بالانتباه في اطروحة هنتنغتون هي، انه عندما يتحدث عما يصفه بــ(الخطر الاسلامي) فهو لايحذر الغرب فقط من (الحركات المتطرفة الاسلامية)، بل يتحدث ايضا عن خطر الدين الاسلامي نفسه. فضلا عن ذلك، انه في الوقت الذي يلاحظ فيه هنتنغتون ان التطور الحضاري للكونفو شيوسية والبوذية يسير في اتجاه مهادن ومتسارع نحو الحوار والتعايش والتنافس الودي مع الغرب عبر تحقيقه لانجازات سياسية واقتصادية مهمة، فان معظم القوى والحركات الاسلامية تتجه نحو المزيد من الانطواء على الذات ومواجهة الحضارة الغربية وتحديها، وبالشكل الذي يجعله يقر في الاخير، ان الصدام بين الاسلام والغرب حتمي الحدوث. ولمواجهة مثل هذا التحدي يتعين تدعيم التعاون والوحدة بين ابناء الحضارة الواحدة، وخصوصا بين اوربا والولايات المتحدة الامريكية، والعمل على تخفيف حدة التناقضات في ما بينها لمواجهة هذه المخاطر المقبلة.

ثالثا: أحداث ١١ أيلول /سبتمبر وتداعياتها على تصورات الغرب للإسلام.

شكلت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ منعطفا تاريخيا حمل معه نذرا بإمكانية قيام مواجهة وصدام حقيقيين بين الغرب والإسلام بناء على خلفيات سياسية وعسكرية بغلاف ثقافي وحضاري، وخاصة من جانب الغرب. فقد أعادت هذه الإحداث علاقة الغرب بالإسلام الى الواجهة من جديد، وأنعشت نظرية هنتنغتون المرتبطة بصدام الحضارات، وأحبطت الى حد ما، كل المحاولات والجهود التي توخت التسامح والتعايش والحوار بين مختلف الحضارات البشرية. ففي ظل هذه الإحداث أصبح مألوفا واعتياديا إصدار حكم متعجل بالإدانة على جميع العرب والمسلمين، وأصبحت الجاليات العربية والإسلامية في الغرب موضح شك وغموض، وتخص بإجراءات أمنية مستفزة وجائرة.

والحقيقة التي لايمكن إسقاطها هي، ان هناك نوعا من التمييز عند صناع القرار في الغرب عامة، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد، بين الإسلام كدين، والإرهاب كسلوك، ويجهرون باحترام للإسلام كدين ويؤكدون ان حربهم ليست حربا ضد الإسلام الذي لم يعد ذلك الأخر، بقدر ما هو موجود داخل الجسم الغربي ويعيش بين أفراده.

ان المشكلة تكمن في، ان الغرب يشهد بروز وتنامي تيار فكري وتنظيري يحمل قدرا كبيرا من العداء للإسلام. هذا التيار يمثله اليوم المحافظون الجدد بزعامة الرئيس الأمريكي (بوش الابن)، وهم يملكون رؤية متطرفة وان كانت غير معلنة عن الإسلام.

ان الغرب الذي يمتلك مقومات القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية يحاول قدر الإمكان تحجيم قوة الدول الإسلامية ويرفض أية دعوة للمسلمين تبني هوية متميزة، معدا ذلك نوع من الخروج عن قيم الحوار والتسامح وتحريضا على العنف، مع ممارسة ضغوطات كبيرة على أنظمة البلدان الإسلامية والعربية باتجاه إقصاء الحركات الإسلامية التي يرى أنها تحمل برامج وأفكاراً متطرفة وعدائية نحو الغرب. في حين نجد ان الحركات اليمينية المتطرفة الغربية التي تحمل برامج وأفكارا هدامة وعنصرية وعلنية تجاه الحضارات الأخرى تعمل بكل حرية في إطار الدساتير الغربية، وتنامي بريقها داخل المشهد السياسي الغربي بشكل مثير.

بعد ان وقعت أحداث ١١ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ انبرت الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة ما أسمته بالحرب الدولية على الإرهاب، أو محاربة الإرهاب الذي يمكن ان ينال تباعا المجتمعات الغربية متبنية بذلك عقيدة استراتيجية تقوم على مبدأ (الحرب الوقائية) أو (الضربة الاستباقية). هذه العقيدة التي يدافع عنها التيار المحافظ تقوم على ثلاثة مبادىء أساسية لها انعكاسات سلبية على العلاقة

التي تربط العرب والمسلمين بالكتلة الاورو-أمريكية. هذه المبادئ هي:

١. تحول السياسة الدفاعية للولايات المتحدة الأمريكية من النمط المستكن الى نمط التعرض بالهجوم، أو ما يسمى بالهجوم ألاستباقي لمواجهة المخاطر المتولدة عن الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل.

٢. ان استراتيجية الهجوم ألاستباقي تستهدف تغيير الأنظمة الاستبدادية، أو التي تتقاطع مع منظومة القيم الغربية بوصفها تشكل خطرا على مصالح الغرب عموما، ومصالح الولايات الأمريكية على وجه التحديد.

٣. ان تنفيذ هذه الاستراتيجية نيابة عن الغرب من شانه إدامة الدور الريادي للولايات المتحدة في العالم وتبوء مسؤوليتها بصفتها الأمينة على استقراره وأمنه[٩].

ان وجه الخطورة في هذه العقيدة الاستراتيجية على علاقة العرب بالغرب، أو على مستقبل هذه العلاقة، يمكن في أنها تمنح الولايات المتحدة، وليس الأمم المتحدة، سلطة تقرير ما هو مشروع أو غير مشروع لتحديد الاستجابة بعمل عسكري، ضاربة بعرض الحائط مبدأ احترام سيادة الدولة وعدم جواز التدخل في شؤونها الداخلية بمعنى أنها انتزعت لنفسها مشروعية شن الحروب من مجلس الأمن الدولي الذي يحتكر لوحده مثل هذه المشروعية عندما يراها ضرورية لمواجهة حالات تهدد السلم والأمن الدوليين. ويعني هذا التحول الانتقال من آلية تشريع الحرب من داخل المنظمة الأممية الى مبدأ شرعية الحرب الذاتية. أي ان النظرة الذاتية للحرب (من وجهة النظر الأمريكية) هي التي توفر لها شرعيتها. فالحرب الاستباقية تكرس أولوية المشروعية القيمية على الآلية التشريعية (عدالة القضية مقدمة على القيود والضوابط المؤسسية لحفظ الأمن).

من هنا، اخذ الاتجاه يميل الى بناء مشروعية اخلاقية (الحرب ضد محور الشر) ومشروعية دينية (حروب الامة التي اختارها الله مع اعدائها) لهذه الحرب التي تتقاطع مع الشرعية الدولية من خلال الرجوع لمفهوم (الحرب العادلة) الذي اصبح محدداً مرجعياً اساسياً لفكر التيار المحافظ الجديد.

وهكذا، برز اتجاه واسع في حقل الدراسات الاستراتيجية الامريكية، يرى في مفهوم الحرب العادلة نقطة التقاء ممكن بين مقتضيات الهيمنة الامريكية الاحادية على العالم والالتزامات الاخلاقية المترتبة على هذه المقتضيات، فضلا عن تلاؤمها مع التحدي الجديد والابرز الذي يواجه المصالح القومية الامريكية (الارهاب)، فحسب رأي (جين الشتاين) انه لا مناص من اعادة بناء الرؤية الاستراتيجية الامريكية في ضوء العبء

---

[9] **Lawrance F. Kaplan/William Kristol, The War over Iraq, Saddam's Tyranny and America Mission, Encounter Books, 2003, p.37.**

المترتب على تحكمها في الرهان العالمي ومواجهتها لخطر الارهاب الذي لايمكن التعامل معه بآليات وتشريعات الحرب الباردة[10].

فبالنسبة (للشتاين) لا تتحدد مشروعية الحرب بامتثالها الشكلي لمرونة قانونية شكلية، وانما بآثارها الاخلاقية، منتقدة الاتجاه الوصفي الوضعي المسيطر على الفكر السياسي الغربي، آخذة بعين الاعتبار البعد الاخلاقي في العملية الوصفية ذاتها يعد كل وصف لفعل سيء بانه هو وصف زائف للواقع.

لذا فأن الاستراتيجية الناجحة هي الاستراتيجية الأخلاقية التي تقوم على تسخير القوة لإصلاح العالم، بالقضاء على الارهاب، واعادة بناء الدول الفاشلة وفرض النموذج الديمقراطي الليبرالي في العالم برمته، اي ما عبرت عنه بعبارة (صياغة العالم حسب صورتنا)، رافضة بشدة حق التنوع الثقافي والحضاري بصفته وهما زائفاً (متحدثة بصفة أخص عن انغلاق الاسلام وعدوانيته في مقابل انفتاح ورحابة المسيحية).

ويذهب (جيمس جونسون) في الاتجاه ذاته، مقارناً بين، الحرب العادلة في التقليد المسيحي التي عدها مفهوماً اخلاقياً عاماً ليس محصوراً في دلالته الدينية الاصلية، والجهاد الاسلامي القائم، بزعمه، على التمييز والاقصاء[11].

فالفكرة الاساسية التي يدافع عنها أصحاب هذا الاتجاه هي، أن الغرض من العودة لمفهوم الحرب العادلة في السياق الراهن هو استرجاع المقوم الاخلاقي في ادارة الحروب بالاجابة على السؤال المحوري الراهن: كيف يمكن لاستخدام العنف المنظم ان يؤدي الى ضمان العدل والحرية والنظام في العالم؟ وما هي السلطة المخولة باستخدام الحرب لاجل هذا الغرض النبيل؟ فنقطة انطلاق عقيدة الحرب العادلة، التي هي الحرب الاستباقية، هي أولوية الحكم الاخلاقي الذي تدافع عنه سلطة شرعية مسؤولة لضمان السلم بصفته نظاما.

ان ما نريد نصل اليه وبقصار الجمل، هوان احداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ دفعت حثيثا باتجاه تزاوج الرؤية السياسية الغربية للعرب والاسلام بقيادة الولايات المتحدة بالعقيدة العسكرية، ولموجبات الفعل العسكري، فتحول الخطاب السياسي المعاد الاسلام الى ضرب من ضروب العمل العسكري المكلف برسالة اخلاقية. وتبعا لذلك، زجت الالة العسكرية في اتون معترك جديد يظهر مرة اخرى ذلك الصراع بين الخير والشر، لكن هذة المرة ليس بين الاشتراكية والليبرالية، انما بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الغربية.

---

[10] Jean Be the Elshtain, Just way against terror, the Bruden of America Powering a violent World Basic, 2003.

[11] The Holy war ideain western and Islamic, Traditions pennsly vania state Universtiy press, 1997, p.32.

رابعا: نحو ادراك سليم وتبادل للعلاقة بين الاسلام والغرب

ان الصورة الخاطئة والمنحرفة في ذهنية الغرب عن العرب والمسلمين، او عن كل ما هو عربي واسلامي، تفرض عملا ضروريا وملحاً من اجل تقويمها وتصويبها. ولنا هنا جملة اراء او تصورات لما يفترض القيام به.

١. التوظيف الفاعل والنشط لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والمكتوبة بهدف التعريف على قيم التسامح التي نهضت عليها الحضارة العربية الاسلامية، واضهار الصور الحقيقية الجلية للاسلام ونظرته المنصفة للغرب في اجواء من الحياد الفكري الموضوعي غير المنحاز لضرورة التعايش مع الاخر.

٢. اجراء مراجعة نقدية تقويمية لمضمون الخطاب السياسي العربي الاسلامي وتنقيتة من شوائب الماضي ومن كل ما من شأنه أن يولد انطباعات سلبية وانفعالات متشبجة مبعثها الشك وعدم اليقين وسوء الظن بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الغربية. واحلال الخطاب المرن الخال من التطرف بدلا من الخطابات الانعزالية المنغلقة والمتخوفة من الغزو الثقافي للاخر. مع التاكيد على ان التفاعل الحضاري بمضامينة الثقافية -الفكرية يعد ضرورة لا غنى عنها بهدف التواصل والاثراء والاغناء.

٣. على الدول العربية والاسلامية ان تعمل على بلورة سياسات وبرامج ثقافية وبابشكل الذي يتيح امكانية رفع خطاب حضاري وثقافي موحد في مواجة الغرب.

٤. تنشيط وتفعيل الوعي الثقافي لدى الغرب من خلال التاكيد على ان الخيارات المتاحة امامه للتعامل مع العرب والمسلمين تكمن في النهج التعاوني وليس التصارعي. وان يعمل صناع القرار في الغرب ومؤسسات البحث العلمي على التخفيف من حدة الشعور واسع النطاق لدى المسلمين بانهم تحت الحصار من الغرب، وانهم يعملون من موقف الاضعف ومن مواقع واهنة.

٥. ان تبدي النخب القيادية والسياسية والفكرية الغربية تفهما اكثر وعيا وعمقا لطبيعة مظالم العرب والمسلمين ولظروفهم المادية التي يعيشونها ، وان يبدوا استعدادهم للتلطيف من حدة المكون الثقافي التاريخي للعداء المتأصل الذي يحمله الغرب نحوهم، وان يكون بامكانهم المساهمة في اصلاح مسببات الحيف والضيم ويعلمون على ازالتها

٦. خلق قناعات قوية مبنية على معطيات موضوعية عند الغرب بان مصالحهم الحقيقية هي في اقامة علاقات ودية غير عدائية مع العرب المسلمين. ويرتبط بهذا المطلب ايضا، تشجيع الغرب على الدخول في شراكة حقيقة

مع العرب المسلمين يتم بموجبها تقديم الدعم الاقتصادي والتقني للدول العربية والاسلامية في اطار من التعاون واحترام مبدا السيادة.

واذا كان لنا من كلمة اخيرة لكي نختم ما تقدمنا به، فاننا نوجزها بالقول، ان المجتمع الدولي وصل الى درجة غير مسبوقة من التداخل والتنوع والتعقيد في العلاقات بين كياناته السياسية ومكوناته البشرية، وان منطق هذا التداخل والاعتماد المتبادل يفرض في اطار المنهج والرؤية العقلانية، استبعاد اية افتراضات خاطئة او نظريات غير صائبة في المواجهة والقطيعة ليكون البديل عنها التواصل الحضاري والتفاعل الانساني كحتمية تاريخية بحكم ضرورات وجود واستمرار المجتمعات الانسانية.